

## ابن العراق في تلاشيهِ

فؤاد حمدي

رسام الغرباء اليائسين من أوطانهم

فاروق يوسف  
كاتب عراقي

ما الذي يمكن أن يستلهمه الفنان من المكان إذا كان ذلك المكان منفي؟ سؤال موحش حاول الكثير من الفنانين الإجابة عليه عن طريق أعمالهم الفنية. ولأن الغربية ليست واحدة، وما من غربة تشبه أخرى، فقد جاءت طرق النظر إليها ومن خلالها إلى العالم تختلف من فنان إلى آخر.

فؤاد حمدي فنان عراقي يعيش في كندا، لا يجد أمامه سوى ذلك الجدار الصامت والأصم الذي عنوانه "الغربة" فيحاول اختراقه عن طريق الرسم. "إلى أين؟" ذلك هو السؤال الحائر والمحير الذي يسلي به كائناته المرمية في فضاء بضيق ويتسع، غير أنه يبقى أسير مجهولته.

## التشاؤم ليس حلا جماليا

لا يريد الفنان أن يبدو متشاؤما. لذلك فإنه يزيد من شحنة اللعب. لعب تمارسه تلك الكائنات على الزمن من أجل أن تلغظ إشارات ما يشبه الحياة. غير أنها في كل الأحوال ليست الحياة الحقة.

كائنات يستعيرها الفنان من كوابيس غربته لتمارس وجودها في زمن لا يتصل بماضيه. وهي لذلك كائنات من غير ماض. ولا المكان يبدو واقعا بالرغم من صلابته.



**حمدي لا يجد أمامه سوى ذلك الجدار الصامت والأصم الذي عنوانه «الغربة» فيحاول اختراقه عن طريق الرسم. أما «إلى أين؟» فذلك هو السؤال الحائر والمحير الذي يسلي به كائناته**

رسوم حمدي لا تقطع صلتهما بالكابوس النظيف واللامع بالرغم من محاولة الرسام إقامة عالم يقع عند حدود الواقع. شيء ما يشبه الواقع أو يتشبه به غير أنه واقع الغرباء الذين اختلطت في خيالهم الصور. وكما يبدو فإن الغربية نجت بالفنان من المفاهيم التقليدية التي

علقت بتاريخ الحداثة الفنية في العراق. فهو ينتج رسوما لا يمكن النظر إليها وتقييمها إلا في سياق عالمي.

فن حمدي لا ينتمي إلى التجربة العراقية إلا في حدود ضيقة. المعاناة الإنسانية فتحت أمامه آفاقا للتحول وهو ما يمكن النظر إليه بتفاؤل. فقد نجح في التأثر بعدد من الفنانين العالميين الكبار الذين أعجب بهم. لا يزال واقعا تحت تأثيرهم وفي الوقت نفسه يسعى إلى أن يخلص إلى تجربته الحياتية.

وبالرغم من الإثارة اللافقة لرسومه فإن الفنان لا يخفي ما انطوت عليه تجربته من عذاب والم وشعور عميق بالعزلة. لقد تعلم درسا جارحا. أن يخفف عن طريق الجمال من تعاسة المتلقي بالرغم من أنه يصارع وحشته الوجودية.

في حديثة غرب العراق، ولد حمدي مطلع الستينات، ولم يستطع إكمال دراسته الفنية في معهد الفنون الجميلة بعد فصله لأسباب عرضية تتعلق بالسياسة. عام 2000 التحق بالدراسة المسائية للمعهد ودرس الرسم هناك لمدة سنتين. كان قد أقام معرضه الشخصي الأول في مدينة الرمادي عام 1979. أقام أكثر من عشرة معارض فردية في بغداد ودمشق وروما وكندا حيث استقر هناك بعد خروجه من العراق وقد سبق له أن أقام في سوريا وتركيا.

## ما بين الصمت والصرخ

شارك حمدي في الكثير من المعارض الجماعية في المدن التي أقام فيها. عام 2012 أقام معرضا في بغداد بعنوان "عالم فؤاد حمدي". ذلك العنوان يمكنه أن يكون مثيرا عن طريقته في النظر إلى رسومه وطريقته في التفكير الفني كما طريقته في معالجة تجربته في الحياة فنيا.

ليس بالضرورة هنا أن يكون ما استنتجته مطابقا لما سعى الفنان إلى أن يقوله أو يعبر عنه. ذلك لأن فنانا تحفل الكوابيس مساحة كبيرة من صلته بالواقع لا بد أن يكون فنه مستوحى من حياته. تجربة يستعيد من خلالها التفاصيل المريرة التي من بها أو كان شاهدا عليها. لذلك فإنه يتلمس طريقه

أحيانا إلى نفسه عن طريق دعابات سوداء تضفي على رسومه طابعا سوريايا. حينها يقترب من البلجيكي رينيه ماغريت صامتا وساخرا وعميقا بأفكاره. غير أنه في أحيان أخرى تبلغ به اللوعة إلى درجة الصراخ المتفرق فيجد

نفسه مقبلا في صرخة معذبة وهو ما يقربه من تجربة البريطاني من أصول أيرلندية فرانسيس بيكون. وما بين الصمت الساخر والصرخ الجارح يقع عالم فؤاد حمدي.

ربما يشعر الكثيرون بالراحة وهم ينظرون إلى رسوم حمدي. فهي من وجهة نظرهم مسيرة على مستوى الفهم. رسوم تسعى إلى المعنى. تلك هي وجهة نظر يمكن أن تكون سببا في خسران الكثير من أسباب المتعة ومعها يشجب الجمال الذي أجهد الرسام نفسه من أجل أن يضعه في المكان الذي تتوازن فيه معادلته الفنية.

## التسلل إلى أصل الحكاية

يمسرح حمدي المشاهد التي يرسمها. مشاهد تحدث في مكان مغلق يبدو كما لو أنه مسرح. غرفة أو زنزانة أو مسرحية الأمر سواء. ما يحدث هناك هو مجاز متحفي. فالكائنات التي ترسم لا تنتمي إلى الحاضر. إنها تتركز تأتي من الماضي مثقلة بمشاعر صادمة. يرسم حمدي ما يتذكره لا ما يراه. فهو يعيش فكرة النجاة بطريقة غير سعيدة. ذلك لأن أشباح الماضي لا تزال تقف وراء أبواب تلك الأماكن المغلقة.

تتواصل كائنات حمدي في ما بينها عن طريق لغة مختصرة هي بقايا إشارات أراد الرسام من خلالها أن يوحي بأن كل ما يرى ليس الحكاية كلها، بل المفاتيح التي يتمكن المتلقي من خلالها إلى التسلل إلى أصل الحكاية. ذلك ما يبعد المتلقي عن محاولة الفهم والتأويل المباشرين.

نحن نرى الصورة لكي نشارك الفنان أزمته وهو يسعى إلى إعادة بناء عالم صرنا لكي نتذكره في حاجة إلى من وما يقودنا إليه. ففي مرحلة سابقة لجاء الفنان إلى استعمال الأتعة بدلا من الوجوه ليزيد من لغزية الحالة التي تعيشها كائناته غير أنه في مرحلة لاحقة أراح تلك الأتعة فظهرت الوجوه مشوهة كما هي عليه في كوابيسه وفي الحياة التي أفرزتها تلك الكوابيس. وما تلك الكائنات المشوهة إلا إشارات رمزية إلى مصير الكائن البشري في ظل وضع مغلق يسيطر الخوف والفرع على جوانبه.

وعلى عادة السورياليين يجنح حمدي إلى الإيهام بوجود الحكاية التي يمكن من خلالها التمرّد على جماليات الرسم للتمسك بالأدب، بحيث يتخذ

العمل الفني طابعا سرديا. يمكننا أن نؤلف حكاية ونعتبرها الأصل الذي حاول الفنان أن يصنع منه صورة، تقف بموازاته ولا تعتبر محاولة لتوضيح ما يمكن أن يلتبس من معانيه.

## حكاية عراق يتوارى

وبالرغم من تعدد الأمكنة والفضاءات التي تتحرك فيها كائنات الفنان فإن الحكاية الأدبية إذا ما قمنا باعتمادها مصدرا للإلهام الفني تعود إلى فكرة حياة واحدة. فكرة العراق. البلد الذي بدأ يختفي تدريجيا تحت وطأة عذاب كوني صار يوزعه بين مواطنيه بالعدل.

ينتمي حمدي إلى الأكثرية التي نالها قسط من ذلك العذاب الذي صار مصدر إلهام له يرافقه في مدن غربته. سيكون عليه أن يبتكر صورا هي مزيج

من النفور والحنين. ذلك البعد الغرائبي بسبب تناقضه هو الذي يشد في رسوم ذلك العراقي الذي تزيده غربته تفتتا. في خضم ذلك الصراع تحضر روح الدمية لتفرض وجودها على الكائنات التي يبتكرها الرسام ميمتا. كما لو أنها تماثيل في متحف.

تلك هي الأخرى عادة سورياية اكتسبها الرسام لتكون رؤياه البصرية على المستوى الذي يصل الواقع بالخيال. إنه عالم متخيل ذلك الذي يدخلنا إليه الرسام غير أنه لن يكون غريبا عنا إذا أمعنا النظر فيه.

ربما تحتاج رسوم حمدي إلى قراءة بصرية لتجنب الوقوع في فخ حكاية العراق المؤلمة التي تسقط الرسم في عالم عاطفي قد يضعفه.

فعل فؤاد حمدي حسنا حين أفرد في عالمه مكانا للغربة السورية بكل



**رسوم حمدي لا تقطع صلتها بالكابوس النظيف واللامع**

**بالرغم من محاولة الرسام إقامة عالم يقع عند حدود الواقع. شيء ما يشبه الواقع أو يتشبه به غير أنه واقع الغرباء الذين اختلطت في خيالهم الصور**

دعاباتها السوداء. فهو من خلال ذلك استطاع أن يقسول جزءا من الحقيقة. وفي الوقت نفسه كان مخلصا لخيال الفن.

